الضعف والسقم وانقلاب البنية الى الحالة الخاريرية وتورم العقد الغاوية وناهيك عن بقية الحشرات التي تجد من عدم النظافة ميداناً واسعاً لمعيشتها . ومما يزيد الطين بلة ان امهات الاطفال لا يتركنهم على حالهم بل يدرزن على القروح مسحوق الاسفيداج اكربونات الرصاص اوهو من السموم القوية متى وضع على الاماكن المقرحة

ويعتري الاطفال آفات اخرى غير هذه من قلة النظافة واستعداد الجسم لميكروبات فيه فكفى بها دليلاً على جهل الذين يتعون غسل الاطفال وعلى وجوب المبادرة الى نزع هذا الوهم من النفوس . اما اعتقاد العامة ان نظافة بدن الطفل تعده لظهور الداء الزهري فيه فخرافة ليس فيها شيء من الصحة على الاطلاق

تسلُّط الارواح

او آراء الاولين في الفواعل التي فوق الطبيعة وتاثيرها في الناس

ملخصة بقلم نسيم افندي بربارو من كتاب اصول انسوارجيا للفيلسوف هربرت سبنسر

يتعذر علينا ان نستعمل لغتنا للتعبير عن افكار المتوحشين لان المعاني التي تدلُّ عليها كلمات اللغة الآن غير موجودة عندهم ولذلك لا يمكن القول بانهم يعتقدون بوجود قوى غير خاضعة لنواميس الطبيعة ما داموا لا يفقهون للطبيعة معنى ولا يرون الاسباب والنتائج الطبيعية كما نراها نحن . غير انهُ لا غنى لنا عن اصطلاحات المتمدنين في الكلام على معتقدات المتوحشين لعدم وجود ما يقوم مقامها

وقد رأينا في الفصول السالفة آراء الاولين في الموت والحياة التي بعده والعالم الغيبي ومطابقتها بوجه الاجمال لارائهم في اكوان المنظور وغير المنظور رغماً عن وجود التناقض في تفاصيلها . واذا اتضح ذلك نبحث الآن في آرائهم في الفواعل التي فوق الطبيعة فانها مع ما سلفها من الآراء مبنية على الاعتقاد بانفصال النفس عن الجسد انفصالاً وقتياً

لا يخفى انهُ اذا مضى زمن طويل على قبيلة وهي تشبه الى الذين يموتون منها شعر افرادها بعد زمن ان عدد الموتى قد صار كثيراً جداً وانهُ في تزايد متواصل . فيصير الموتى من تلك القبيلة شعباً كبيراً ولذلك يتوهم المتوحشون ان الارواح تملأ وجه الارض . ويزعم الغيبيون وهم سكان سيلان الاولون ان لكل شيء في الطبيعة روحاً ساكنة فيه . وتعاني تسمانيا ان الارواح الشريرة تملأ الخراج والكهوف ورؤس الجبال . وقبيلة الكارن في الهند ان

ارواح الموتى في العالم تفوق الاحياء عدداً وذلك فشن الامراض بين هذه الجراثيم الميكروبية تترب سوماتر جاء الكاهن بقارب ووقف امام كل بيت ونادى الارواح الشريرة التي فيه حتى يشحن القارب بها ثم يحمله الى البحر ويتركه فيه تتقاذفه الامواج

ويرى المتوحشون في هذه الارواح كما رأى الاولون قدرتهم تعليلاً لكل ما يعسر عليهم تعليله من حوادث تكون كالزلازل والشهب والروابع وهم اشبه شيء بالعلل الطبيعية التي نشأت هذه الحوادث عنها. ذكر بعض السائحين ان في احد اقسام افريقية صخوراً معرضة لحرارة الشمس الشديدة النهار بطولها فاذا هبّ عليها الهواء البارد مساء برد سطحها فتشقق بصوت شديد فيقول المتوحشون ان مصدره الارواح الشريرة ولا سبيل لهم لتعليله غير ذلك ما داموا يجهلون ان التحزف يحدث اذا تقلّصت اجزاؤه تقلّصاً غير متساوٍ. وذكر هرمن انه اذا هبّت زوبعة في بلاد الدانقلة في شرقي السودان تبعها الاهالي وضربوها بالحراب زاعمين انهم يطعنون الجنّ التي فيها. ويتعذر على المتوحشين ان يروا السراب ونحوه من الظواهر الجوية سبباً غير الارواح التي تظهر تارةً وتختفي أخرى

وهذه الارواح تكون اولاً لاشخاص معينين كتمثل الاوراكيين في اميركا الجنوبية ان النهار فاضٍ عن محاربة ارواح اسلافهم لاعدائها ثم اذا توالت القرون ونسي الناس امر الاسلاف اختلط امر تلك الارواح فلم تعد تنسب الى اشخاص معلومين. مثال ذلك اذا اتفق وجود دردور في نهر قريباً من مكان غرق فيه رجل من القبيلة نسبوه الى روح الغريق الشريرة وقالوا انها تُغرق الناس والاشياء انتقاماً. وقد ينسى الناس على مر الايام امر ذلك الغريق وتفاصيل غرقه ولا يبقى الا الدردور فيقولون ان فيه روحاً شريرة من غير ان يخصوها بشخص معيّن

ترى من ذلك ان ارواح الموتى صارت سبباً لجميع الحوادث الطبيعية في اعتقاد الاولين والمتوحشين ثم صارت ايضاً سبباً لكل ما يطرأ على الاحياء انفسهم تقريباً منهم واهتمامها بامورهم. فارواح الاعداء تقرب الفرص لايقاع الضرر باعدائها وارواح الاصدقاء تسعى لجلب الخير لاصدقائها او ارضائها او لمعاضبتهم اذا اغضبوها. وعلى هذا يبني كثيرون اسباب نجاحهم وتأخرهم. فقبائل الهند الحمر ذكرهم يطلبون الى ارواح اسلافهم مساعدتهم في الصيد. واذا وقع احد اهالي أستراليا من شجرة ودق عنقه قالوا ان ارواح اعدائه سحرته. واشعار هوميروس طافحة بالشواهد على ذلك فقد كان لكل من ابطاله الله يذود عنه ويوقع باعدائه. فميلاوس انتصر بقوة مينرفا وزهرة مجّت بريس من الموت وأوكان خطف اداوس من

وسط الهمهمة ونفس على ذلك . ولا يخفى ان تفسير الحوادث على هذا الاسلوب شائع حتى عند المتمدنين رغماً عن اخبارهم الواسع وبحثهم المدقق في الحوادث واسبابها

وكما تسلط الارواح على احوال البشر تسلط ايضاً على اجسادهم على ما يقول المتوحشون . فقد تقدم معنا ان الجسد في حال الاغماء والصرع والنوم والموت يكون ساكناً وان الاولين كانوا يعتقدون كما يعتقد المتوحشون اليوم ان سكونه لغياب النفس عنه والنفس يستفيق عند رجوعها اليه . غير انه يحدث احياناً ان الانسان يشيخ شيخاً عنيفاً وهو في حال الغيبوبة ثم اذا استفاق انكر ما فعل رغماً عن شهادة الذين حوله . فاذا كانت نفسه غائبة حينئذٍ فما هو سبب هذا التشيخ يا ترى

هذه مسألة يصعب حلها على المتمدنين فلا عجب اذا ضل فيها المتوحشون وعللوها تعليلاً مطابقاً لعقولهم . وخلاصة تعليلهم لها كما يستدل من معتقداتهم انه اذا كان يمكن للروح ان تخرج من الجسد ثم تعود اليه حينما تشاء فمن الممكن ايضاً ان تحل فيه روح غريبة مدة غياب الروح الاصلية عنه . ولذلك اتفق اغلب الناس في اقسام العالم المختلفة على نسبة الصرع الى حلول الارواح الشريرة في الجسد

ثم ان بعض الحوادث اضطرت الاولين الى الاعتقاد بان الارواح قد تدخل الجسد احياناً مدة وجود الروح الاصلية فيه فقد يفعل الانسان وقت اليقظة اموراً كثيرة ضد ارادته كالضحك والبكاء في حوادث المصيبة . ويتخذ بعض الاقوام هذه الافعال دليلاً على الغيرة فاذا اصيب احدهم بها قالوا ان الارواح حلت فيه لتوحي اليه علم الغيب . وقد قال السياح ان اغلب الذين تحل فيهم الارواح من الاحباش والتونجا وغيرهم من الاناث وذلك دليل على ان هذه الحوادث مرضية هستيرية . وما يشعر بهذا المصاب بهذا الداء كأن كرة في حلقه (وهو ما يدعوه الاطباء بالكرة الهستيرية) يقوي اعتقادهم بان روحاً غريبة حلت في جسمه

ويزعم المتوحشون ان للارواح فعلاً آخر الطف من فعلها في حوادث الهستيريا وهو العطاس والتأوب فاذا ورد واحد من قبيلة الخند في الهند استشارة العراف رش الماء على وجهه ليعطس فتكنه الروح على زعمهم . وسواء كانت هذه الروح شريرة او صالحة فالنتيجة واحدة وهي ان روحاً غريبة دخلت الجسم وجعلته يعمل عملاً لا قدرة له على منعها . وعلى هذا الاسلوب يعللون حوادث الهذيان والجنون لانهم لا يتصورون ان الانسان يهذي بامور غريبة ويلفظ عبارات منقطعة لا يفهمها الحاضرون ويضحك ويرتعب بلا سبب ظاهر ما لم

تكن فيه روح غريبة تخاطب بقية الارواح عن امور معروفة لديها . واعتقاد المتوحشين واكثر المتمدنين في الجنون مشهور فكلهم متفقون على نسبته الى ارواح شريرة هي غالباً ارواح الخطاة المتوفين مستدلين على ذلك بميل المجانين الى مجاورة القبور . ويزيد هذا الزعم رسوخاً ما يظهره المجنون وقت هياجه من القوة الفائقة حتى لقد يتعذر مسكه على عدة اشخاص . فيزعمون ان هذه القوة التي لا يرون لها سبباً لا يمكن ان تكون قوة الانسان وحده بل هي صادرة عن الارواح التي حلت فيه . وقد بقي الناس ينسبون الجنون الى الارواح الشريرة الى عهد قريب حين اثبت العلم انه من الامراض العصبية التي لا دخل للارواح فيها

وتوسع الناس في اعتقادهم بتعلق الارواح حتى صاروا ينسبون اليها الامراض الجسدية ايضاً . فقبيلة الامازولو في جنوبي افريقية تقول ان سبب الامراض ارواح الموتى . واهالي جزائر ساموي يعتقدون ان الارواح ترجع الى العالم وتجلب المرض والموت . وقبيلة الدياك في جزيرة بورنيو تقول ان لكل مرض شيطاناً خاصاً به فاذا عادوا مريضاً بالجدري مثلاً سألوه "هل تركك" وهم يلقبون شيطان الجدري بالرئيس . وقبيلة الاروك في غينيا تقول ان الالم ناتج عن وخز الارواح الشريرة ويقول غيرهم ان سبب الامراض جراح غير منظورة برماح غير منظورة ترمي بها الارواح

وقد ابدلت الامم التي ارتقت في الحضارة لفظة روح بالفاظ تدل على كائنات اخرى فوق الطبيعة فقال البابليون ان الالهة اشتار ضربت البطل ازدوبار بالمرض حتفاً عليه . وجاء في اشعار هوميروس عن اليونانيين الذين ماتوا بالوباء انهم اصيبوا بسهام ابولو . واعتقد غيرهم ان البكم والعمي لا يشفيان الا باخراج الشياطين

واذا كانت الارواح حسب القول الشائع سبباً للامراض فلا غرابة اذا حسبوها سبباً للموت ايضاً . فقد روى السياح عن بعض قبائل الهنود في اميركا انهم لا يعتقدون انه يمكن الانسان ان يموت باسباب طبيعية . وذكر هبرن السائح ان بعض قبائل اميركا الشمالية تنسب موت رؤسائها الى سحر الاسكيمو . وجاء عن قبيلة الخند في اسيا انها لا ترى الموت نصيب كل حي بل تزعم انه قصاص توقعه الآلهة بالبشر جزاء خطاياهم . وروي عن كثير من قبائل افريقية واوستراليا وغيرها انها تنسب الموت الى فعل الآلهة ولو كان المقتول قد مات غريقاً او مسموماً . وقد تصرف بعض الاقوام فجردوا من الارواح الشريرة روحاً وصفوها بانها اله الموت وصارت عند بعضهم شخصاً حقيقياً فيقولون "ان الموت يراك" . وجاء في احاديث اليونانيين ان هرقل نجى الستس من قبضة الموت القوي

وخلاصة ما تقدم ان المعتقدات المبنية على خروج النفس من الجسد ورجوعها اليه مرتبطة معاً ارتباطاً معقولاً . ومن نتائجها انهُ اذا امكن لنفس الانسان ان تخرج منهُ وتعود اليهِ امكن ايضاً لنفس اخرى ان تدخلهُ مدة غياب نفسهِ عنهُ والاَّ فكيف يمكن للصروع ان يعمل اعمالاً كثيرة مدة صرعهِ ولا يذكر شيئاً منها بعد ما يفيق . ولا يمكن تعليل مايأتيهِ الانسان في اليقظة رغماً عنهُ كالعطاس والتثاؤب وما اشبه الاَّ بان روحاً غريبة دخلت جسدهُ حال وجود روحهِ فيهِ . وما الجنون سوى حلول الارواح الغريبة في الجسد ولولا ذلك ما كان المجنون يؤذي نفسهُ . وكما ان الارواح سبب الامراض العقلية فهي ايضاً سبب الامراض الجسدية والموت . فاذا لم يمكن العفريت في الجسد فهو على مقربة منهُ يرشقهُ بنبالهِ او يطعنهُ بحرابهِ . وقد يسبب الموت الى فعل الارواح ولو كان سببهُ ظاهراً فاذا زلت قدم انسان ووقع الى اسفل وادٍ عميق او اذا اصابهُ رمح في قلبهِ قالوا ان روحاً شريرة جذبت رجلهُ واوقعتهُ وان يد الجن حملت رأس الرمح الى قلبهِ فاوردتهُ حتفهُ

لكن اختيار الناس في هذه الاوهام رويداً رويداً واحلَّ الاسباب الطبيعيَّة محل الاسباب الوهمية في هذه الاشياء كما في غيرها من سائر ملابسات الانسان . فكما نعتقد الآن ان الحرث والتسميد والري تنمي الزروعات وتجيدها معاً كان معتقد صاحبها نعتقد ايضاً ان للامراض والآفات اسباباً طبيعية وان علماء الطب والطبيعية ساعون في معرفة هذه الاسباب وازالة ما تمكن ازالتهُ منها

فن الانشاء

قلما طلب احد العلم الاَّ وودَّ لو يكون في عداد الكتَّاب الذين يصوغون من الالفاظ عقوداً بديعة المعاني ويكرون الدهى بكؤوس من البيان تدار على نغم المعاني . ولقد اهتمَّ كثيرون من ايام اليونان والرومان بوضع قواعد تسهِّل على المرء امتلاك ناصية الانشاء والجري في حلبة الكتَّاب فتسنَّى لهم ايجاد الكتاب المصنوع ولكن لم يتسنَّ ايجاد الكاتب المطبوع وشتَّان بين هذا وذاك

وقد اطلعنا الآن على خطبة بديعة في هذا الموضوع للكاتب الانكليزي الشهير فردرك هريسن وهو من كتب رجال الانكليز وابلغهم تلاها في جمعية كسفرد الادبية وقال فيها